

وزارة الشؤون الدينية والأوقاف
مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية تندوف
الملتقى السابع للقرآن الكريم
العمل في القرآن الكريم ودره في تحقيق التنمية
يومي 10-11 ماي 2023م

منهج القرآن الكريم في تكريم الإنسان ومقتضيات التكريم

د. عبد الرحمن خلفة

أستاذ محاضر أ بكلية الشريعة والاقتصاد جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

ملخص

يعالج هذا الموضوع وفي هذه المداخلة سنحاول معالجة قيمة التكريم الإنساني ومنهج القرآن في التأسيس له، للإجابة عن إشكالية رئيسية تتمحور حول منهج الإسلام في تكريم الإنسان وما يقتضيه ذلك التكريم، مستدلين ببيان فضل الله تعالى على الإنسان وما تضمنه القرآن الكريم من آيات ترفع من شأن هذا المخلوق على سائر المخلوقات الأرضية، وتسعى لتذكيره بذلك ليعود إلى فطرته وخالقه، وبيان سمو شريعة الإسلام على كل الشرائع في التأسيس الفعلي لحقوق الإنسان، وذلك بمنهج استقرائي تحليلي، عبر محورين رئيسيين؛ المحور الأول نخصه لأنواع التكريم الإنساني ومظاهره، والمحور الثاني نخصصه لمقتضيات التكريم ولوازمه، قبل أن نختم المداخلة بنتائج وتوصيات البحث

Summary

This topic deals with the value of honoring humanity and the approach of the Qur'an in establishing it. To answer a major problem centered around the Islamic approach to honoring man and what that honor requires, They sought to explain the grace of God Almighty to man and the verses included in the Holy Qur'an that raise the status of this creature above all other earthly creatures, and seek to remind him of that so that he can return to his nature and his Creator. And the statement of the supremacy of Islamic law over all laws in the actual establishment of human rights.

This is done with an inductive and analytical approach, through two main axes ; The first axis we dedicate to the types and manifestations of human honor, and the second axis we dedicate to the requirements and requirements of honor, before we conclude the intervention with the results of the research

إن الكرامة قيمة محورية من القيم التي أكد عليها القرآن الكريم في آياته؛ منطوقا ومفهوما، وكرسها على مستوى مقتضياتها ولوازمها، من حيث كونها صفة لصيقة بالكيان الإنساني لا تنفك عنه؛ المادي والأدبي، حتى أضحت قيمة فطرية طبيعية جبلية، تواطأت الشرائع والطبائع والعقول السليمة؛ فقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء 70]، مقابل تنصيب القرآن الكريم على حظر كل ما من شأنه أن ينتهك حرمة الإنسان؛ جسدا ونفسا، حيا وميتا، أو يمس بشرفه وسمعته، أو يعرضه لأي أذى حسي أو معنوي، من تعذيب أو سحرية أو قذف أو إهانة. وفي سبيل تحقيق ذلك وتجسيد الكرامة الإنسانية سلك القرآن الكريم منهجا متدرجا حكيما مضبوطا بخطوات تتجلى في مظاهر متعددة، وفي هذه المداخلة سنحاول الإجابة عن إشكالية رئيسية تتمحور حول منهج الإسلام في تكريم الإنسان والتأسيس القرآني لهذه القيمة، وما يقتضيه هذا التكريم، مستدفين بيان فضل الله تعالى على الإنسان وما تضمنه القرآن الكريم من آيات ترفع من شأن هذا المخلوق على سائر المخلوقات الأرضية، وتسعى لتذكيره بذلك ليعود إلى فطرته وخالقه، وبيان سمو شريعة الإسلام على كل الشرائع في التأسيس الفعلي لحقوق الإنسان، وذلك بمنهج استقرائي تحليلي، عبر محورين رئيسيين؛ المحور الأول نخصه لأنواع التكريم الإنساني ومظاهره، والمحور الثاني نخصه لمقتضيات التكريم ولوازمه، قبل أن نختتم المداخلة بنتائج وتوصيات معالجة قيمة التكريم الإنساني ومنهج القرآن في التأسيس له، وذلك عبر محورين رئيسيين؛ المحور الأول نخصه لأنواع التكريم الإنساني ومظاهره، والمحور الثاني نخصه لمقتضيات التكريم ولوازمه، وذلك بمنهج استقرائي تحليلي، وفق ما يأتي

المبحث الأول-أنواع التكريم الإنساني ومظاهره"

من خلال استقراء آيات القرآن الكريم نجد أنه نص على تكريم الإنسان باعتباره بشرا مخلوقا من قبله، ونص أيضا على تكريم خص به المؤمنون المتقين، والأول تكريم عام، والثاني تكريم خاص، وذلك وفق ما يأتي:

المبحث التمهيدي: مدخل للتعريف بالكرامة

• الكرامة في اللغة: أصلها غطاء يوضع على رأس الجرة أو القدر، وكرامة الإنسان احترام

المرء لذاته، وهو شعور بالشرف والقيمة الشخصية يجعله يتأثر ويتألم إذا ما انتقص من قدره¹ جاء في مختار الصحاح: مادة (كرم) الْكِرْمُ ضِدُّ اللُّؤْمِ، وَقَدْ كَرُمَ كَرْمًا فَهُوَ كَرِيمٌ وَقَوْمٌ كِرَامٌ وَكُرْمَاءٌ). وَالْكَرِيمُ الصَّفْوُحُ وَالْكَرْمُ شَجَرُ الْعِنَبِ. وَالْكَرْمُ أَيْضًا الْقِلَادَةُ: وَالتَّكْرِيمُ وَالْإِكْرَامُ (بِمَعْنَى). وَالْإِسْمُ مِنْهُ الْكَرَامَةُ². وفي الشريعة الكرامة: هي الشرف والفضل³

¹ - معجم المعاجم الجامع، مادة (كرم).

² - الرازي، زين الدين، أبو عبد الله، مختار الصحاح، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1420هـ/1999م، 268

³ - القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، جامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م، 293/10.

أولاً-التكريم العام: وهو تكريم موجه للإنسان من حيث كونه إنساناً، بغض النظر عن دينه أو لونه أو لغته، أو عصره، أو سنه، أو جنسه؛ فهو تكريم من الله تعالى الخالق لمخلوقة الإنسان، وعن هذا النوع من التكريم يقول ابن باديس -ببعد أن قسم التكريم الإلهي لتكريم عام وتكريم خاص-: (فأما العام، فهو إخراجهم لهم من العدم إلى الوجود، وإعطاؤه لكل شيء منهم خلقة اللائقة به من تركيب أجزاء ذاته، وتعديل مادة تكوينه، ومن أعضائه-إذا كان من ذوي الأعضاء-التي يحتاج إليها في حياته، لجلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهدايته وإلهامه ما خلق، صالحاً لذلك إلى استعمال تلك الأعضاء، وطرق الجلب والدفع به.. والتكريم المذكور في هذه الآية [الإسراء 70] من القسم العام .. هذا التكريم المذكور في المسألة السابقة هو عام للنوع الإنساني من حيث هو إنسان لا فرق فيه بين من آمن ومن كفر؛ لأنه راجع للخلقة الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع، والتمكين من أسباب المنافع الذي هو ثابت لجميع النوع بما عنده من عقل وتفكير. وهذا هو مقتضى العموم المستفاد من لفظ: 'بني آدم'. ومثل هذا التكريم في العموم: الحمل في البر والبحر، والرزق، لأنهما من جملة التكريم كما تقدم في فصل بيان المعنى)⁴. وهذا يعني أنه تكريم مشترك بين الناس جميعاً بحكم الخلقة والفكرة والطبيعة لا يختص بجنس دون آخر ولا يحرم منه أحد باسم دين أو قانون أو عنصر

وهذا النوع العام من التكريم يرتكز على ثلاثة جوانب وهي: (التمييز على الكائنات الأخرى بالعقل، واستخلاف ذوي العقول على إعمار العالم، وتسخير إمكانيات هذا العالم ومخلوقاته لهم (سورة البقرة: 30، والأنعام: 167، وفاطر: 39، والنمل: 62).⁵. ويزيد ابن باديس الأمر توضيحاً وتفصيلاً فيقول: (عظم حظ الإنسان من هذا التكريم من جهة ذاته بحسن صورته واعتدال مزاجه، ومن جهة روحه بأنها من العالم النوراني العلوي وبأنها مع اتصالها بالبدن قابلة للتحلي بأكمل الصفات وأطهر الأخلاق، ومن جهة عقله الذي به إدراك الحقائق وحصول المعارف، وعرف الأسباب ومسبباتها ووجوه ارتباطاتها واتصالاتها، ونسبة بعضها إلى بعض، فملك وساد واستفاد وأفاد)⁶ ولئن خص كل مخلوق من خلق الله تعالى بالتكريم بحكم الخلقة فإن ذلك التكريم متفاوت بين الخلق؛ ذلك لأن (جميع المخلوقات التي أخرجها الله تعالى من الوجود إلى العدم وإن كانت متساوية في أصل التكريم العام. فإنها متفاوتة فيه بحسب تفاوتها في شرف الذات وكمال الخلقة. فعالم النبات أكثر حظاً في التكريم من عالم الجماد، وعالم الحيوان أكثر حظاً منهما، ونوع الإنسان أكثر حظاً في التكريم العام من جميع الحيوان)⁷.

ولذلك فإن مبدأ (الكرامة مشترك بين كل البشر يعلو عند البعض ويقل عند آخرين تبعاً للتربية والثقافة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء 70]، فالتكريم لكل الناس بغض النظر عن دينهم ولونهم ووطنهم،

⁴ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق عمار طالي، مكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ/1968م، 1/ 303-304.

⁵ راجع: رضوان السيد، نظام القيم في القرآن والتجربة الثقافية الإسلامية في زمانين، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، (105)، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، ص 4.

⁶ عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، 1/ 304.

⁷ عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، 1/ 303-304.

أو الزمان الذي يعيشون فيه، لذلك اهتم العلماء بكرامة الإنسان، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم حريصاً عليها، فالكرامة من أهم خصائص البشر، وقد تعلقوا عند بعض الشعوب على الطعام والشراب؛ لذلك اهتم عقلاء العالم بالحفاظ على كرامة الآخرين، وهذا كان يكفل تعارفاً وثيقاً، وتواصلاً حميماً⁸. ولو حدث أن تعدى فرد أو أمة على كرامة فرد أو تعدت أمة على كرامة أمة، إنه تعدد على مشترك إنساني عام، لا يمكن أن يقبله إنسان؛ ولذلك فهذا نذير حربٍ وصدام، وقد تبنى شعوبٌ من أجل الحفاظ على كرامتها، وقد يكون سبب خدش الكرامة أمرٌ في ظاهره بسيط، لكن عواقبه تكون من القوة بحيث يمكن أن تستنزف إمكانيات أمة أو أمم⁹.

ومن مظاهر هذا التكريم التي أوردها القرآن الكريم أيضاً:

1- أن الله تعالى شرف الإنسان بأن خلقه بيده وفتح فيه من روحه، وهذا لم يحصل لكائن آخر: ﴿إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (74) [ص].

2- أن الله تعالى كرم الإنسان بتعديل القامة وامتدادها بحسن الصورة من بين سائر المخلوقات بقوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (4) [التين]، ودكره بإحسان هذا الخلق، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (6-8) [الإنفطار]، وإنما تشمل كلمة التقويم البنية الخارجية والداخلية معاً، ويعلم علماء تشريح الجثة بأن صورة الإنسان وما يرتديه من البنية الخارجية هي من أحسن الصور وأكملها بشرة وقامة كما قال تعالى ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَتَكُمْ﴾ (64) [غافر]، وكذا يُعتبر ما يُواريه الجسد من الأعضاء الداخلية من أقوى الأعضاء وأكثرها فعلاً ونشاطاً.

3- أن الله تعالى خلق الإنسان على الفطرة؛ قال سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (30) [الروم].

4- جعل التكليف اختيارياً؛ بما في ذلك الإيمان بالله تعالى، فالإنسان غير مجبر؛ بل حر في الإيمان من عدمه، وفي ضوء هذه الحرية التي هي مناط التكليف، يتحمل مسؤولياته؛ فقال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾ (29) [الكهف] وأيضاً قوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (256) [البقرة].

5- جعل الإنسان خليفة في الأرض، مؤهلاً لتعميرها؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (30) [البقرة].

6- إسجاد الملائكة له تكريماً له وتشريفاً لذاته: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَأِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ (34) [البقرة]. وناهيك أن ندرك أهمية الكرامة الإنسانية بأن إبليس قد أصبح من الملعونين

⁸ راغب السرجاني، المشترك الإنساني، نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 1432هـ/2011م، ص 391 وما بعدها
⁹ راغب السرجاني، المرجع نفسه.

المطرودين بحيث أبي وامتنع عن السجود لآدم، وتجراً على إنقاص بني آدم وازدراثة بهم، وترفعه عليهم خلافاً للأمر الإلهي. والسجود لآدم هنا ليس عبادة له، وإنما هو تكريم وتبجيل لمخلوق، له خصائص فكرية وبيولوجية ونفسية لا توجد في مخلوقات أخرى.

7- تعليمه الأسماء، وتعليمه أسماء الأشياء.

8- تسخير ما في الكون لخدمة الإنسان، ولتأدية واجبة الخلافة سخر الله تعالى للإنسان السماوات والأرض وما بينهما: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمَنِ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِعَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (20) [لقمان]. وهذا الكون مسخر لهم لكي يعرفوا الله ويدركوا قدراته من خلاله، حتى يصل الإنسان إلى أعماق الأرض، وأن يستخرج المعادن، وأن يرتفع إلى الفضاء، وأن ينتفع بكل ما في الأرض.

9- إلغاء الوساطة بين العبد وربه، تحريماً لعبادة ما سوى الله تعالى من الأوثان والأحجار والأشجار والجبال والبحار والأشياء، وهذه الوساطة قد أفسدت التحنُّ والتعبد لله، وبها لم يغفل الإنسان عن عظمة الله وجلاله فحسب؛ بل حُرِّم إدراك القيم الإنسانية والكرامة البشرية، فمُنِع الإسلام عن هذه الانتهاكات، وحُرِّم السجود إلا لله، وحتى حُرِّم السجدة للتكريم كرامة للإنسان وصيانته ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (25).

10- إعطاء الإنسان العقل؛ وهو مناط التكليف وبه يكسب الإنسان، حرته، وإن الله وهب للإنسان العقل والإحساس والشعور ليدرك الغاية من وجوده، وليتأمل ما في هذا الكون من أسرار وبدائع هي آية في الجمال والاكتمال، وإن كل ما في هذا الكون يهدي إلى الإيمان بالله القوي القادر، والإيمان يهدي إلى الحق وبذلك يستحق التكريم والتفضيل¹⁰.

ولبيان أهمية العقل في كونه وسلة تفضيل ومظهر من مظاهره عرض القرطبي مختلف الآراء في مظاهر التفضيل وأسبابها ثم رجع العقل؛ فقال قال القرطبي: (وَهَذِهِ الْكِرَامَةُ يَدْخُلُ فِيهَا خَلْقُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْهَيْئَةِ فِي امْتِدَادِ الْقَامَةِ وَحُسْنِ الصُّورَةِ، وَحَمْلُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا لَا يَصِحُّ لِلْحَيَوَانَ سِوَى بَنِي آدَمَ أَنْ يَكُونَ يَتَحَمَّلُ بِإِرَادَتِهِ وَقَصْدِهِ وَتَنْدَبِيرِهِ. وَتَخْصِيصِهِمْ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَابِسِ، وَهَذَا لَا يَتَسَعُّ فِيهِ حَيَوَانٌ اتَّسَعَ بَنِي آدَمَ، لِأَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ الْمَالَ خَاصَّةً دُونَ الْحَيَوَانَ، وَيَلْبَسُونَ الثِّيَابَ وَيَأْكُلُونَ الْمُرْكَبَاتِ مِنَ الْأَطْعَمَةِ. وَعَايَةُ كُلِّ حَيَوَانٍ يَأْكُلُ لَحْمًا نَيْثًا أَوْ طَعَامًا غَيْرَ مُرْكَبٍ. وَحَكَى الطَّبْرِيُّ عَنْ جَمَاعَةٍ أَنَّ التَّفْضِيلَ هُوَ أَنْ يَأْكُلَ بِيَدِهِ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَ بِالْفَمِ. وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ذَكَرَهُ الْمَهْدَوِيُّ وَالنَّحَّاسُ، وَهُوَ قَوْلُ الْكَلْبِيِّ وَمُقَاتِلٍ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرِدِيُّ. وَقَالَ الضَّحَّاكُ: كَرَّمَهُمُ بِالنُّطْقِ وَالتَّمْيِيزِ. عَطَاءٌ: كَرَّمَهُمُ بِتَعْدِيلِ الْقَامَةِ وَامْتِدَادِهَا. يَمَانٍ: بِحُسْنِ الصُّورَةِ. مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: بِأَنْ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ. وَقِيلَ أَكْرَمَ الرَّجَالَ بِاللَّحَى وَالنِّسَاءَ بِالذُّوَابِ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: بِتَسْلِيطِهِمْ عَلَى سَائِرِ

¹⁰ - آصف إقبال القاسمي الجهان آبادي، الكرامة الإنسانية ومظاهرها في الإسلام (مقال)، الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند الهندية، المقالات

والبحوث، <https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/4459>

الْخَلْقِ، وَتَسْخِيرِ سَائِرِ الْخَلْقِ لَهُمْ. وَقِيلَ: بِالْكَلامِ وَالْخَطِّ. وَقِيلَ: بِالْفَهْمِ وَالتَّمْيِيزِ. وَالصَّحِيحُ الَّذِي يُعَوَّلُ عَلَيْهِ أَنَّ التَّفْضِيلَ إِنَّمَا كَانَ بِالْعَقْلِ الَّذِي هُوَ عُمْدَةُ التَّكْلِيفِ، وَبِهِ يُعْرِفُ اللَّهُ وَيُفْهَمُ كَلَامُهُ، وَيُوصَلُ إِلَى نَعِيمِهِ وَتَصْدِيقِ رُسُلِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا لَمْ يَنْهَضْ بِكُلِّ الْمُرَادِ مِنَ الْعَبْدِ بُعِثَتِ الرُّسُلُ وَأُنزِلَتِ الْكُتُبُ. فَمِثَالُ الشَّرْعِ الشَّمْسُ، وَمِثَالُ الْعَقْلِ الْعَيْنُ، فَإِذَا فُتِحَتْ وَكَانَتْ سَلِيمَةً رَأَتْ الشَّمْسَ وَأَدْرَكَتْ تَفَاصِيلَ الْأَشْيَاءِ. وَمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَقْوَالِ بَعْضُهُ أَقْوَى مِنْ بَعْضٍ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي بَعْضِ الْحَيَوَانَ حِصَالًا يُفْضَلُ بِهَا ابْنُ آدَمَ أَيْضًا، كَجَرِي الْفَرَسِ وَسَمْعِهِ وَإِبْصَارِهِ، وَقُوَّةِ الْفِيلِ وَشَجَاعَةِ الْأَسَدِ وَكَرَمِ الدِّيكِ. وَإِنَّمَا التَّكْرِيمُ وَالتَّفْضِيلُ بِالْعَقْلِ كَمَا بَيَّنَّا.¹¹

فأصل التكريم والتفضيل المشترك ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ [الإسراء: 70]، قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: 4]، وقد نقل أبي بكر ابن العربي عند تفسير قوله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [التين: 4]، قال: «ليس لله تعالى خلق هو أحسن من الإنسان؛ فإن الله خلقه حيًا، عالماً، قادرًا، مريدًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا، مدبرًا، حكيماً، وهذه صفات الرب¹²

11- المساواة بين الناس في أصل الخلقة: وذلك لأن الناس متساوون في مصدرهم، جميعاً بصرف

النظر عن منابتهم الأيديولوجية وقومياتهم ولغاتهم وألوانهم سواء لدى القانون وفي الحقوق والواجبات. إذ يقول تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1]¹³

12- إقرار النسب والاعلاء من شأنه: فقد أكد الإسلام على النسب؛ فقال الله تعالى: ((أَدْعُوهُمْ

لِءَابَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا ءِآبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ)) [الأحزاب 6] ، وحرّم كل ما من شأنه أن يتسبب في اختلاط الأنساب؛ لأن اختلاطها يعني أن الإنسان فقد كرامته التي فضل بها على الحيوان والتحق بهذا العالم الحيوان عالم الغاب، وقد جعل الفقهاء المسلمون حفظ النسب من مقاصد الشريعة الكلية؛ فقال ابن عاشور معللاً ذلك: (حرص الشريعة على حظ النسب وتحقيقه ورفع الشك عنه ناظر الى معنى عظيم نفساني من اسرار التكوين الإلهي علاوة على ما في ظاهره من إقرار نظام العائلة ودرء أسباب الخصومات الناتجة عن الغيرة المجبول عليها النفوس)¹⁴

ثانياً- التكريم الخاص: هو: (تكرمه وإنعامه على عباده المؤمنين بنعمة الإسلام في الدنيا، وبتدار السلام في الأخرى)¹⁵، وهذا التكريم قاصر على المؤمنين دون سائر البشر، فللبشر حرمتهم وتكريمهم الذي يليق به، لكن لمن

¹¹ - القرطبي، مصدر سابق، 293/10-294.

¹² - وائل الحارثي، التأسيس المقاصدي للمشارك الإنساني، (مقال)، <https://al-furqan.com/ar/%D8%A7%D9%84%>، آخر اطلاع: 2023/5/7م.

¹³ - محمد محفوظ، مفهوم الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم (مقال)، مجلة الكلمة، العدد 69 السنة 12، حريف 2010م/1431هـ، <http://kalema.net/home/article/view/971#:~:text=%D9%81%D>، تاريخ الاطلاع: 2023/5/7م.

¹⁴ - ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار سحنون تونس، دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ/2007م، ص 159.

¹⁵ - عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، 303 / 1.

آمن بالله تعالى تفضيل أكثر من غير المؤمن، لذلك قال الله تعالى: ((يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن دَكْرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) [الحجرات 13]، فالآية واضحة في تخصيصها للمؤمنين التقاة بأفضلية عن سائر البشر.

ومما يدل على أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي أنزل الإنسان منزل الكرامة والشرف الأسمى عبر التاريخ الإنساني هو تنزيل الوحي عليه؛ فالوحي الإلهي تكريم بالغ للإنسان من خالقه، لأنه يهدف إلى ما فيه من الخير والكرامة والعلو له. وكان الناس يعتقدون فيما قبل الإسلام، أن الإنسان ليس في فطرته ووسعه أن يتصف بصفات عالية، فأنكروا لكثير من الأنبياء والرسل أن يكونوا من جماعة الإنسان، وجعلوهم أبناء لله كما في حالة يعقوب ودواود وعزير وعيسى ومن عداهم من الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام-، وكذا يعتقد الهندوس بالنسبة إلى أوليائهم ومرشديهم أن الألوهية قد حلت في أجسادهم، فهم ليسوا بشرًا مثلنا، واقتفاءً بأثر آبائهم، عجب مشركو «مكة» من تنزيل الوحي على نبينا الخاتم محمد-صلى الله عليه وسلم- في قلب الإنسان وأنكروا رسالته، فقالوا: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (26) ويعنون أنه لو كان رسولا من عند الله، لكان ملكا من الملائكة، وقال الله عز وجل ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (27). ويدرك كل من له إلمام بالكرامة الإنسانية أن هذا الاتجاه الديني الباطل والمعتقدات والتقاليد الضالة، تجاه شخصيات بارزة قد وصف الإنسانية بالذلل والصغار، ويجد جليًا أن الإنسانية لم تبلغ ذروة الكرامة ونهاية السعادة إلا بعد بروز الإسلام على مطلع الدنيا، فإرسال الرسل من بين جماعة الإنسان تكريم إلهي للإنسان وتشريفه بالرسالة (28).

المبحث الثاني: مقتضيات التكريم الإلهي للإنسان ولوازمه

إن التكريم الذي حظي به الإنسان من قبل خالقه والتفضيل الذي خصه به؛ يقتضي جملة من المسؤوليات والواجبات، تقع على عاتق الإنسان بصفته الإنسانية، ومنها:

1- **شكر المنعم وتقدير الذات:** ذلك أن (الله تعالى امتن على بني آدم بهذا التكريم لهم في شرف الخلقة ورفعتها، وكثرة المنفعة وتيسير أسبابها تذكيراً لهم بنعمته ليشكروها فيزيدهم منها، وتعريفاً لهم بشرف أنفسهم ليقدروها فينتفعوا بها، فهذان الأمران هما الحكمة المقصودة بهذا الامتنان. فلنتكلم عليها في الفصلين التاليين).¹⁶

فقد أنعم الله تعالى علينا و(ابتدأنا بهذه الكرامة في الخلقة، بدون سعي منا ولا عمل، وهو المبتدئ بالنعم قبل استحقاقها. فمن قبل هذه الكرامة وشكرها كان من المكرمين، ومن لم يعرف قيمتها وكفرها كان من المهانين. ومن يهن الله فما له من مكرم، فلنقابل هذا التكريم في الخلقة بالشكر الجزيل بأن نعقد قلوبنا على تعظيم النعمة به، ونطلق ألسنتنا بالاعتراف والثناء على مسديهِ، ونستعمل هذه الخلقة الكريمة في مرضي ربنا وطاعته. متوسلين بشكر

¹⁶ - عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، 306 / 1.

ما ابتدأنا به خالقنا من تكريم الخلق، إلى ما وعد به الشاكرين من تكريم الجزاء والمثوبة، بأنواع ألطافه وإنعامه وجزيل فضله وإكرامه. فسبحانه ذا الجلال والإكرام¹⁷.

وهذه النعمة (استودعنا خالقنا خلقه كريمة، فعلياً أن نعرف قيمتها وأن نقدرها قدرها. وحق على من كرمه ربه أن يكرم نفسه، فعلياً أن نكرم أنفسنا بتكريم أرواحنا بتزويدها عن مساوئ الأخلاق وتحليلتها بمكارمها. وتكريم عقولنا بتزويدها عن الأوهام والشكوك والخرافات والضلالات، وربطها على العلوم والمعارف وصحيح الاعتقادات وتكريم جوارحنا بتزويدها عن المعاصي وتحميلها بالطاعات فنتحرى بأقوالنا وأفعالنا أكرم الأقوال وأكرم الأعمال. ونترفع عن جميع الرذائل والدنایا، ونتباعد عن كل مواطن السوء والسفالة ونحفظ كرامتنا وشرفنا أمام الله والناس ونجتهد أن لا يمسننا بسوء لا منا ولا من غيرنا. فإذا قدرنا-هكذا-أنفسنا، وشكرنا-كما تقدم-ربنا بلغنا-بإذن الله تعالى-أبعد الغايات من التكريم والتفضيل¹⁸).

2- **العمل الصالح واحترام حقوق الإنسان:** وذلك لأن (الكرامة والعزّة هاتان متصلان من جهة الإيمان، لكنهما متصلان من جهة أخرى بالعمل الصالح. فالكرامة هذه تقتضي من جهة واجبات تجاه الله يركّزها القرآن الكريم في عشرات الآيات في الإيمان. لكنها تقتضي من جهة أخرى أعمالاً تتلاءم مع العقل والاستخلاف والتسخير. وتقتضي من جهة ثالثة حرمة أو حرّمة ينبغي أن تسود بني البشر في حق الفرد الإنساني. فإذا كان العمل الصالح أو المصلح ضرورياً لعمران العالم وازدهاره؛ فإنّ الحرمة، وهي حقوق للبشر تجاه بعضهم بعضاً، تُسهّم في تمكين الإنسان من القيام بحقوق العقل والفرد والجماعة على حدّ سواء. فالكرامة تتضمن شبكة من العناصر، تستند في الأصل مثل المساواة إلى مُعطى إلهي، لكنها ولكي يتسدّد عملها أو مفتضياتها تستلزم قيماً مشتقة أو مترتبة على المعطى الرئيس¹⁹).

3- **ومن لوازم حق الكرامة ومتطلباتها أن يحترم الإنسان كرامة الآخرين وألا يؤذی إنساناً بآخر في حضرته، وألا يهان في غيبته، سواء كان هذا الإيذاء بالجسم، أم بالقول، فكما حرم الإسلام الإيذاء البدني، حرّم الإساءة اللسانية أيضاً من الهمز، واللمز، والتنايز بالألقاب، والسخرية، والغيبة، والشتيم، وسوء الظن بالناس وما إلى ذلك من المعاملات المهينة الشنيعة؛**

فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِمَّنْ قَمِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْأُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَحْتَبَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ (12) يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴿ [الحجرات]، والضابط الرئيسي في احترام كرامة الإنسان كما أوضح الإسلام، هو احترامه كإنسان، وليس لما يملكه من جاه أو مال، وليس لما

17- عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، 306 / 1.

18- عبد الحميد بن باديس، مصدر سابق، 307-306 / 1.

19- راجع: رضوان السيد، مرجع سابق، ص 5

يتمتع به من صفات جسمية أو عقلية، وليس لما يتّصف به من مواهب وعطاءات. وكلّ الفروق البيولوجية والتاريخية بين الناس، هي فروق وهمية، لا أثر لها في قضية تمتع الناس بنفس الدرجة من الكرامة²⁰.

4- **ومن مقتضيات التكريم أن يعامل كل البشر معاملة إنسانية رفيعة**، وأن تحظر كل أساليب الإهانة المادية والأدبية، وأن يحظر التعذيب والتمثيل بالبشر، كما يمنع تحويل جسم الإنسان وأعضائه سلعا لتجار بها، وأن لا يبرر أي نظام عنصري مهما كان، وأن يحظر الاستعمار بكل أشكاله، والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي، وأن لا توحد الأبواب أمام اللاجئين،

5- **احترام الفطرة وسنها التي خلق الله تعالى عليها الإنسان**: وذلك لأن (الفطرة الإنسانية التي خلق الله الإنسان عليها متقومة بمعنى التكريم والاستخلاف الإلهي، وأي انحراف عن هذه الفطرة يُعدُّ تعدياً على كرامة الإنسان؛ لأن مفهوم الفطرة وعلاقتها بالعبودية الإنسانية لله تعالى تجعل من ولاية الإنسان على نفسه محددة بالفطرة أولاً، وبالشرعية الإسلامية ثانياً؛ ولهذا فإن الانتحار أو الإضرار بالنفس والجسد كيفما كان نوعه، والشذوذ الجنسي، لا يمكن اعتبارها من الحقوق الإنسانية المحترمة، لأنها مناقضة للفطرة والجلبة الإنساني²¹.

6- **احترام مقتضى المساواة باعتبارها مظهراً من مظاهر التكريم**: فمقتضى المساواة هي رفض التمييز بين الناس لاعتبارات قومية أو جنسية أو لغوية أو دينية. لهذا فإن كل جهد أو ممارسة أو سياسة، تميز بين الناس، وترتب على أساسها الحقوق والواجبات، هي جهود وممارسات مناقضة لمفهوم الكرامة الإنسانية؛ لأن من أسس ومبادئ الكرامة الإنسانية المساواة بين الناس. فلا فرق بين الناس في طبيعة الخلق؛ ولا تمييز على أساس اللون أو اللغة أو العرق أو الجنس؛ إذ جاء في الحديث الشريف «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أسود على أبيض إلا بالتقوى»، بل جعل معيار التفاضل بين الناس، معياراً كسبياً { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ }²².

7- **ازدراء الرق والعبودية**: لأن الأصل أن الإنسان يولد حراً؛ وما يتعرض له من رق وعبودية، أمر طارئ في حياته؛ وهي ذل ومهانة تنافي الكرامة الإنسانية الاصلية الفطرية الجليلة، ومعلوم أن الاستثنائي لا يلغي الأصل ولا يأتي عليه بالإسقاط، فالطبع يغلب التطبع، فالحرية الإنسان والكرامة صنوان، ولذلك وضع القرآن الكريم منهجا بعيد المدى لاجتثاث الرق من تاريخ البشرية، يركز على ثلاثة إجراءات:

أولها- أبعاد للإنسان المسترق إنسانيته وكرامته: اللتين افتقدتهما بظلم من المجتمع الإنساني، فالمجتمع كان ينظر إلى المسترق على أنه سلعة تباع وتشترى ليس له كرامة، فيمكن أن يعرى ويمنع عنه الاكل ويهان وتضرب وتزهق روحه. فقد روى البخاري ومسلم عن المعرور قال (رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ وَعَلِيَهُ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَيَّرَهُ بِأُمَّهِ، قَالَ: فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ وَخَوْلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ،

²⁰ - آصف إقبال القاسمي الجهان آبادي، مرجع سابق.

²¹ - محمد محفوظ، مفهوم الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم (مقال)، مجلة الكلمة، العدد 69 السنة 12، حريف 2010م/1431هـ، <http://kalema.net/home/article/view/971#:~:text=%D9%81%D>، تاريخ الاطلاع: 2023/5/7م.

²² - محمد محفوظ، المرجع نفسه.

فَمَنْ كَانَ أَحْوَهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ²³.

ثانياً- تضييق مجالات الاسترقاق؛ فمجيء الإسلام حرم طرقاً كثيرة من طرق الاسترقاق التي كرسها الجاهلية، وشرعتها على مستوى الأعراف الاجتماعية في مختلف أرجاء العالم وفي الحضارات الإنسانية، فأقر منها الأسر في الحرب مع الأعداء كعامله بالمثل أما مصادر الرق التي كانت معروفة كإعسار المدين وبيع النفس واقتراف بعض الجرائم ونتيجة للخطف فقد حرمها الإسلام تحريماً قاطعاً²⁴؛ وغيرها من الطرق المتداولة عصرئذ، (فضيق الإسلام هذا الباب، وشدد في حرمة بيع الحر، واسترقاقه، وحصر دائرة الرق فيما أخذ من طريق الجهاد المشروع)²⁵؛ فيقول ابن عاشور: (فنظر الإسلام إلى طريق الجمع بين مقصديه: نشر الحرية وحفظ نظام العالم بأن سلط هوامل الحرية على عوامل العبودية مقاومة لها لتقليلها، وعلاجاً للباقي منها، وذلك بإبطال أسباب كثيرة من أسباب الاسترقاق، وقصره على سبب الأسر خاصة، فأبطل الاسترقاق الاختياري، وهو بيع المرء نفسه، أو بيع كبير العائلة بعض أبنائها، وقد كان ذلك شائعاً في الشرائع، وأبطل الاسترقاق لأجل الجناية، بأن يُحْكَمَ على الجاني ببقائه عبداً للمجني عليه، وقد حكى القرآن عن حالة مصر: ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُهَا﴾ [يوسف: 75]. وقال: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف: 76]، وأبطل الاسترقاق في الدين الذي كان شرعاً للرومان، وكان أيضاً من شريعة سولون في اليونان من قبل، وأبطل الاسترقاق في الفتن والحروب الداخلية الواقعة بين المسلمين، وأبطل استرقاق السائبة، كما استرقت السيارة يوسف عليه السلام إذ وجدوه. ثم إن الإسلام التفت إلى علاج الرق الموجود، والذي سيوجد، بروافع ترفع ضرر الرق، وذلك بتقليله عن طريق تكثير أسباب رفعه، وبتخفيف آثار حالته، وذلك بتعديل تصرف المالكين في عبيدهم الذي كان مالكة معتناً²⁶

وهنا ينبغي التفريق بين أسرى الحروب والسبايا، فالأولون لهم حقوق تحول دون أسرهم؛ حيث يرى الشيخ محمد الغزالي هنا أن معاملة الأسرى ليست تشريعاً محلياً يصدر من جانب واحد، إنه تشريع تلتزم به أطراف متشابكة المصالح، مُتَعَاوَنَةً عَلَى إِحْتِرَامِ قِيَمٍ مُعَيَّنَةٍ. هل يجد المسلمون هذه المعاني عند خصومهم؟ كلاً، فإن هؤلاء الخصوم من عبدة الأصنام أو من أتباع الكتب الأولى لا يُقَرُّونَ للمسلمين بحقِّ الوجود، فكيف يسمعون لهم بحقِّ البقاء وحرية التدبير! وإلى أن يتم تفاهم عالمي على أسلوب إنساني في معاملة الأسرى انفراد الإسلام بتعاليم تحنو على أولئك المنكوبين، وتذكّر بالأخوة الإنسانية، وتوصي بالرحمة، وتُعاقب على الغلظة، أو بعبارة موجزة: جفّ منابع الرقِّ جهْدَ الطاقة، ونوع أسباب التحرُّر والانطلاق! فليس هناك أمرٌ باسترقاقٍ، وإنما هناك أوامرٌ بالإعتاق، ويرى أنه

²³ - عدنان الخطيب، حقوق الإنسان في الإسلام، دار طلاس للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، ط1، 1412هـ/1992م، ص 73

²⁴ - عدنان الخطيب، نفسه 73

²⁵ موقع: إسلام أونلاين، منهج الإسلام في تحرير الرق، <https://fiqh.islamonline.net/%D9%85%D9%86%D9%87%D8%AC>، تاريخ الاطلاع: ماي 2023. ومن محاضرة

صوتية مرئية مسجلة: <https://www.youtube.com/watch?v=MYP4Hazzzh0>

²⁶ ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار السلام، القاهرة، دار سحنون، تونس، ط2، 1427هـ/2007م، ص 128.

لتحرير الرق من مدحل الحروب يقتضي وجود اتفاق دولي مسبق على هذا الأمر وإلا تبقى لمعاملة بالمثل، فيستحيل أن يجرم الرق إلا بمعاهدة دولية²⁷.

فلم يبق إلا باب إذن الاسترقاق في الحروب عن طريق السبي، وهذه الباب لم يغلَق في صدر الإسلام؛ معاملة بالمثل؛ لأنه يقتضي اتفاقاً أممياً عليه؛ وقد كان متعذراً وقتئذ إقرار مثل هكذا إجراء.

ولرد شبهة عدم تجريم الإسلام للرق في عهده؛ يقول بعض الباحثين: (وإذا قيل: إن الإسلام لم يبلغ الرق والاتجار بالبشر إلغاءً كاملاً رغم عظم مجهودات نبي الإنسانية في مكافحة الاسترقاق.. فجواب ذلك أن الدولة الإسلامية وحدها لا تستطيع أن تقضي تماماً على عادة الاسترقاق والاتجار بالبشر، وذلك لعدة أسباب وجيهة ومنطقية.. السبب الأول: أن مظاهر الاسترقاق والاتجار بالبشر كانت متأصلة ومنتشرة في المجتمعات الإنسانية، العربية وغير العربية، منذ قديم الزمن، فكان على الشرع الإسلامي - كعادته - أن يستخدم التدرج في القضاء على المنكرات والأعراف الفاسدة، فضيَّق منافذ الاسترقاق ووسع أبواب العتق. السبب الثاني: أن هذه العادات كانت قبل ظهور الإسلام بمثابة الأعراف الدولية، فقد كانت جميع الدول والإمبراطوريات - دون استثناء - تمارس الاسترقاق والاتجار بالبشر، ومن ثمَّ فإن القضاء على الرق يحتاج إلى اتفاق دولي عام، يلزم الجميع بمنع الاسترقاق أو الاتجار بالبشر.. ومعلوم أن الدولة الإسلامية أيام حضرة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن من القوة والانتشار بالقدر الذي يسمح لها بمنع هذه العادات. السبب الثالث: أن الناس كانوا حديثي عهد بالإسلام، وإذا أصدرت الدولة قراراً بمنع الرق؛ فسوف يقع حرج شديد على هؤلاء الناس الذين أصبحت تجاراتهم وأعمالهم تقوم على كاهل هؤلاء العبيد.. فكان على النظام الإسلامي أن يأخذ بمبدأ التدرج في منع الاسترقاق والاتجار بالبشر. السبب الرابع: أن الدولة الإسلامية لم تكن تمتلك من الإمكانيات الاقتصادية والمالية بحيث تتمكن من كفالة هؤلاء العبيد بعد تحريرهم، أو حتى توفير فرص عمل لهم جميعاً، فمن المعروف أن العبيد كانوا في كفالة أسيادهم، يطعمون من مال السادة، ويحترفون لهم في مهنتهم).²⁸

ثانيها: تشريع إجراءات عملية لتحرر من الرق: أو ما سماه البعض ب(توسيه مخارج الخروج من الرق)²⁹.

1- ربط الكثير من الكفارات والعقوبات الشرعية بتحرير الرقيق؛ حيث أضحى بمجيئ السلام تحرير رقبة إحدى خصال الكفارات؛ في القتل الخطأ والظهار والإيلاء واليمين، وانتهاء حرمة رمضان، وفي بعضها لا يتأتى العدول عنها إلى غيرها إلا بعد عدم وجود رقيق، أو عجز المكفّر عن ذلك. كما هو مبين في نصوص الشريعة والفقهاء الإسلامي.

2- منح العبد حقه في تحرير نفسه، وهو الذي يسمى في الفقه الإسلامي بالمكاتب.

²⁷ - محمد محفوظ، المرجع نفسه.

²⁸ - راجع: محمد مسعد ياقوت، جهود النبي صلى الله عليه وسلم في مكافحة الرق والاتجار بالبشر، (مقال)، إسلام أون لاين:

<https://islamonline.net/archive/%D8%AC%D9%87/>

²⁹ - عدنان الخطيب، نفسه 73

3- جعل مصرف من مصارف الزكاة في تحرير العبيد: لقوله تعالى: ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) [التوبة:60].

4- الترغيب في تحرير الرقيق وجعل ذلك من أجل القربات، لقوله تعالى: ((فَلَا آقِ تَحَمُّ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُ رَقَبَةً (13) أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمِ ذِي مَسْعَبَةَ (14) يَتِيمًا (15) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18))) [البلد]، قال ابن عاشور: (وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَدْعِي إِهْلَاكَ مَالٍ كَثِيرٍ فِي الْفَسَادِ مِنْ مَيْسِرٍ وَخَمْرٍ وَخَوِّ ذَلِكَ أَفْلا أَهْلَكَهُ فِي الْقُرْبِ وَالْقَضَائِلِ بِفَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ الْمَسْكِينِ فِي زَمَنِ الْمَجَاعَةِ فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ فِي ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَى النَّاسِ خِلَافًا لِمَا يَدْعِيهِ مِنْ إِنْفَاقٍ)³⁰.

5- جعل كفارة ضرب العبد تحريره، فقد (شرح الإسلام منفذًا لتحرير العبيد عن طريق سن قاعدة “كفارة ضرب العبد عتقه” والذي لم يكن موجودًا أيام الجاهلية، فمنح حق الحرية للعبد إذا ضربه سيده. فعن أبي صالح ذُكِرَ أَنَّ عَنْ زَادَانَ قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عَمْرٍ، وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا لَهُ، فَأَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ عَوْدًا أَوْ شَيْئًا، فَقَالَ: مَالِي فِيهِ مِنَ الْأَجْرِ مَا يَسْتَوِي هَذَا.. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: “مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ”³¹(10). ولذلك يقول المستشرق الألماني “آدم متر” أن العتق يُعَدُّ مبدأ من مبادئ الإسلام، فيقول: “كان في الإسلام مبدأ في مصلحة الرقيق، وذلك أن الواحد منهم كان يستطيع أن يشتري حريته بدفع قدر من المال، وقد كان للعبد أو الجارية الحق في أن يشتغل مستقلاً بالعمل الذي يريد.. وكذلك كان من البر والعادات المحمودة أن يوصي الإنسان قبل مماته بعتق بعض العبيد الذين يملكهم”³².

6- تشريع حرمة الجسد الإنساني؛ حيا وميتا، ففي حياته؛ يحرم قتله بغير حق، أو حرقه أو التمثيل به، وإن كان المقتول من جماعة المناضلين في المعارك، وبعد وفاته حرمت أكله أو الاتجار بأعضائه، وأكدت الشريعة على حرمة الميت كحرمة الحي، فحرمت أن يُوطأ قبره أو تُقضى عنده الحاجة أو تُوضع القاذورات بقرب قبره، وتكرهًا للموتى أمر الإسلام بتغسيل الميت، وتكفينه، ودفنه، ونهى عن كسر عظمه أو الاعتداء عليه أو على جثته، فقد جاء في الحديث النبوي عن عائشة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا»، وكذا نهى عن سب الميت واللعن عليه في حديثه عن عكرمة: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا أَبَاهُ بِشَرِّ فَإِنَّ سَبَّ الْمَيِّتِ يُؤْذِي الْحَيَّ وَلَا يَبْلُغُ الْمَيِّتَ»³³.

7- احترام حقوق العامل باعتباره إنسانا: حيث (يمكن للعمل أن يسهم في حفظ كرامة الإنسان وصيانتها، باعتبارها هدفا أساسيا من أهدافه لكنه في كثير من الأحيان يمكن أن يكون مصدر انتهاك

³⁰ - ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 1984م، 355/30، وراجع هذه الإجراءات وغيرها وأدلتها في:

ابن عاشور، مقاصد الشريعة، مصدر سابق، 128-129.

³¹ - محمد مسعد ياقوت، المرجع السابق

³² - محمد مسعد ياقوت، المرجع نفسه

³³ - آصف إقبال القاسمي الجهان آبادي، مرجع سابق.

أو إهدار أو محاولة النيل، أو حتى التقليل من هذه الكرامة، متى كان موضوع العمل وطبيعة الظروف المحيطة به تنافي والكرامة الإنسانية ويقول غاندي الإنسان يعطي للإنسان كرامته³⁴.

وقد نص إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام على أن (العمل حق تكفله الدولة والمجتمع لكل قادر عليه، وللإنسان حرية اختيار العمل اللائق به مما تتحقق به مصلحته ومصلحة المجتمع، وللعامل حقه في الأمن والسلامة وفي كافة الضمانات الاجتماعية الأخرى. ولا يجوز تكليفه بما لا يطيقه، أو إكراهه، أو استغلاله، أو الإضرار به، وله -دون تمييز بين الذكر والأنثى- أن يتقاضى أجرا عادلا مقابل عمله دون تأخير وله الإجازات والعلاوات والفروقات التي يستحقها، وهو مطالب بالإخلاص والإتقان، وإذا اختلف العمال وأصحاب العمل فعلي الدولة أن تتدخل لفض النزاع ورفع الظلم وإقرار الحق والإلزام بالعدل دون تحيز)³⁵ ولذلك ظهرت (الكرامة في علاقات العمل كفكرة وكمفهوم هي وسيلة وأداة قانونية فعالة لحماية حقوق الأجير وتعزيز مكانته داخل مؤسسة العمل ليس باعتباره أجيرا فحسب؛ بل كإنسان داخل مكان العمل، وعليه فإن الاعتراف به كمبدأ قانوني ثابت من شأنه أن يسهم في ترسيخ مفهوم أنسنته في مجال العلم، فهي قيمة جوهرية تصلح لتأسيس مفهوم عام للحقوق الشخصية والمهنية للأجراء في مكان العمل، وتحقيقا لمبدأ الكرامة ينبغي ان يكون موضوع العمل مشروعاً لا نقص من قيمة الإنسان العامل وكرامته كما يشترط ان تكون الظروف المحيطة لائقة خالية من التحرش والعنف والأخطار المهنية)

36

خاتمة:

بعد عرضنا لمفهوم الكرامة ومظاهرها في نصوص الشريعة وفقهها ومقتضيات التكريم الإلهي للإنسان، خلصنا إلى ما يأتي:

- 1- الكرامة قيمة محورية وصفة لصيقة بالكيان الإنساني لا تنفك عنه؛ فهي قيمة فطرية طبيعية جبلية، تواطأت الشرائع والطبائع والعقول السليمة على اعتبارها.
- 2- التكريم الإلهي للإنسان نوعان: تكريم عام له باعتباره إنسانا بغض النظر عن دينه ولونه وجنسه وسنه وعصره وموطنه ولغته وعرقه، وتكريم خاص بالمؤمنين المتقين.
- 3- ومن مظاهر التكريم العام للإنسان التي أوردتها القرآن الكريم: أن الله تعالى شرف الإنسان بأن خلقه بيده ونفخه فيه من روحه، وأن الله تعالى كرم الإنسان بتعديل القامة وامتدادها بحسن الصورة، وأن الله تعالى خلق الإنسان على الفطرة، وجعل التكليف اختياريا، وتسخير ما في الكون لخدمة الإنسان، وإلغاء الوساطة بين العبد وربّه، وإعطائه العقل؛ وهو مناط التكليف وبه يكسب الإنسان، حريته، والمساواة بين الناس في أصل الخلقة، وإقرار النسب والاعلاء من شأنه.

³⁴ - محمد امين بلعرج، مفهوم الكرامة الإنسانية وتطبيقاته في علاقات العمل، (مقال)، مجلة قانون العمل والتشغيل، مج 6، العدد: 1 جانفي 2021، ص 108، ص 4-5

³⁵ م (13) من إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام، تم إجازته من قبل مجلس وزراء خارجية منظمة مؤتمر العالم الإسلامي، القاهرة، 5 أغسطس 1990، مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا، <http://hrlibrary.umn.edu/arab/a004.html>

³⁶ - محمد امين بلعرج، المرجع نفسه، ص 120.

- 4- من مظاهر التكریم الخاص للمؤمنين في القرآن الكريم إنعام الله تعالى على عباده المؤمنين بنعمة الإسلام في الدنيا، وابدار السلام جنة الخلد في الآخرة.
- 5- من مقتضيات التكریم الإلهي للإنسان ولوازمه: وجوب شكر المنعم وتقدير الذات، والعمل الصالح واحترام حقوق الإنسان، واحترام الإنسان كرامة الآخرين، معاملة كل البشر معاملة إنسانية رفيعة، وحظر كل أساليب الإهانة المادية والأدبية، واحترام الفطرة وسننها التي خلق الله تعالى عليها الإنسان، واحترام مقتضى المساواة الإنسانية في مصدر الخلق، وتشريع حرمة الجسد الإنساني؛ حيا وميتا. واحترام حقوق العامل
- 6- ينبغي ازدياء الرق والعبودية وحظر التعذيب والتمثيل بالبشر وتحويل جسم الإنسان وأعضائه سلعا للتجار بها، وعدم تبرير أي نظام عنصري أو استعمار أو استغلال اقتصادي واجتماعي، واستقبال اللاجئين، لأن كل هذا من مقتضيات التكریم الإلهي للإنسان.
- 7- ظهرت الكرامة في علاقات العمل كفكرة ومفهوم، وهي وسيلة وأداة قانونية فعالة لحماية حقوق الأجير وتعزيز مكانته داخل مؤسسة العمل ليس باعتباره أجيرا فحسب بل كإنسان.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- آصف إقبال القاسمي الجهان آبادي، الكرامة الإنسانية ومظاهرها في الإسلام (مقال)، الجامعة الإسلامية، دار العلوم، ديوبند الهندية، المقالات والبحوث، <https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/4459>
- 2- الرازي، زين الدين، أبو عبد الله، مختار الصحاح، المكتبة العصرية -الدار النموذجية، بيروت، ط5، 1420هـ/1999م،
- 3- راغب السرجاني، المشترك الإنساني، نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب، ط1، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 1432هـ/2011م،
- 4- رضوان السيد، نظام القيم في القرآن والتجربة الثقافية الإسلامية في زمانين، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، (105)، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية،
- 5- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ط 1984م
- 6- ابن عاشور، محمد الطاهر، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار سحنون تونس، دار السلام، القاهرة، ط2، 1428هـ/2007م.
- 7- عبد الحميد بن باديس، آثاؤ ابن باديس، تحقيق عمار طالبي، مكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ/1968م.
- 8- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، لجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط2، 1384هـ/1964م.
- 9- محمد بلعرج، مفهوم الكرامة الإنسانية وتطبيقاته في علاقات العمل، (مقال)، مجلة قانون العمل والتشغيل، مج 6، العدد:1 جانفي 2021.
- 10- محمد محفوظ، مفهوم الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم (مقال)، مجلة الكلمة، العدد69 السنة 12، خريف 2010م/1431هـ، [http.net/home/article/view/971#:~:text=%،الاطلاع:2023/5/7](http://net/home/article/view/971#:~:text=%،الاطلاع:2023/5/7)
- 11- محمد مسعد ياقوت، جهود النبي صلى الله عليه وسلم في مكافحة الرق والاتجار بالبشر، (مقال)، إسلام أون لاين: <https://islamonline.net/archive/%D8%AC%D9%87/>
- 12- معجم المعاجم الجامع، مادة (كرم).
- 13- مكتبة حقوق الإنسان، جامعة منيسوتا، إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام، تم إجازته من قبل مجلس وزراء خارجية منظمة مؤتمر العالم الإسلامي، القاهرة، 5 أغسطس 1990، ، <http://hrlibrary.umn.edu/arab/a004.html>
- 14- وائل الحارثي، التأسيس المقاصدي للمشارك الإنساني، (مقال)، <https://al-furqan.com/ar/%D8%A7%D9%84%،الاطلاع:2023/5/7>